

مختارات من الميثولوجيا للفؤاد الناري

السروقة

ترجمة : محمد قنوق



□ مولد سوسروقة

كانت ستناي تنال على ضفة نهر الكوبان . وكان راعي النارين واقفاً على الجانب الآخر من النهر وهو يرعى الأبقار . وعندما رآها اقترب من الضفة المقابلة وأخذ يراقبها . كانت فائقة الجمال فجمدت أنظاره عليها . - هيه يا ستناي الجميلة ! يا أجمل من رأيت عيناى ، انظري نحوي ولو مرة واحدة - ناداها الراعي . وعندما نظرت نحوه رأته متقدماً كالنار . وأحست هي الأخرى بأن شرارة قد اشتعلت في قلبها ، ولم تعد قادرة على الوقوف فجلست على حجر عند ضفة النهر .

وعندما أنهت غسلها وأرادت الانصراف ناداها الراعي مرة أخرى :
- ايه يا ستناي الجميلة ، يا أجمل الجميلات ، بمثل ذكائك يهتدي الرجال ! لماذا تتركين الحجر الذي كنت تجلسين عليه ؟ خذيه معك .
أطاعت ستناي كلام الراعي وأخذت الحجر معها وخبأته في نخالة الذرة .

(١) قديماً سكان القوقاز

ولم تفض مدة طويلة حتى بدأت تسمع صوتاً غريباً • « ما هذا الصوت ؟ » قالت لنفسها وأخذت تبحث حولها • كان الصوت يزداد عندما تقترب من الحجر ، ويخفت عندما تبعد عنه •

— أي شيء عجيب هذا ؟ — قالت ستناي ووضعت أذنها على الحجر • كان باطنه يغلي ، ومنه كان ينبعث الصوت • وعندما تأكدت من ذلك لفّت الحجر بخيط من الصوف ، وما كادت تمضي أيام ثلاثة حتى انقطع الخيط • وربطته مرة أخرى فانقطع الخيط •

— بساتحة (٢) ، يا الهي ! • ان هذا الحجر يكبر يوماً بعد يوم — قالت ستناي وأخرجت الحجر من بين النخالة ووضعت في مكان دائي قرب الموقد حيث بقي مدة تسعة أشهر وتسعة أيام • كان قد كبر وأخذ يغلي وقد احمر لونه •

ركضت ستناي الى « لبش » (٣) وسألته :

— هل أستطيع أن ألق بك يا لبش ؟

— اذا كنت لا تستطيعين الثقة بي ، واذا لم تكن الكماشة أداتي والمطرقة سلاحي فلماذا أعيش ؟ • أجابها لبش وقد ساءت طريقته سؤالها •

— عندي مشكلة لم تصادف أحداً قبلي • اذا حكيتها لا تصدق ولا أستطيع السكوت عنها • ماذا أفعل — قالت مرتبكة •

— من يسأل لا يخطئ • والخطأ لا يمكن اخفاؤه • لاتخجلي مني وأخبريني بما حدث • مهما يكن الامر فأنا مستعد لمساعدتك •

— لماذا أتعب نفسي بالحديث عن شيء يمكن أن أريك اياه • تعال وسأريك شيئاً عجيباً •

— اذا أردت ذلك فأنا رهن اشارتك • الرجل لا يرجع بكلامه — قال لبش وحمل أدواته وذهب معها • وعندما رأى الحجر الملتهب عند الموقد قال بمتعجب :

(٢) اله الروح والحياة (٣) حداد ولكنه نصف اله

— يا الهي !! ما هذا ! في حياتي رأيت الكثير وسمعت الكثير ولكنني لم أر شيئا كهذا ، ولا سمعت أحدا يقول انه رأى مثله . يا « واشخوة » (٤) .
ما أعجب هذا الشيء !

وبدا يحطم الحجر . واستمر في عمله سبعة أيام بلياليها . وكان قلب ستناي يتقد كلما ضرب الحجر . وأخيرا انفلق الحجر ووقع منه صبي . وعندما حملته ستناي يلهفة أحرق يديها فتركته ووقع في حجرها فأحرق ثوبها ثم وقع على الأرض . كان جسم الصبي متقدما كالنار يتطاير منه الشرر ويتصاعد البخار . أمسكه لبش بكماشة قوية من فوق ركبتيه وغطه في الماء سبع مرات . كان الماء يغلي في كل مرة من شدة الحرارة المنبعثة من جسم الصبي . وبعد ذلك أصبح جسمه كالغولاذ ما عدا المنطقة التي كان يمسكه منها بالكماشة .

وأخذ الصبي ينمو بسرعة عجيبة . كان ينمو في يوم بقدر ما ينمو غيره في شهر . واستغرب النارتيون ذلك وأخذوا يتناقلون طريقة ولادة ابن ستناي العجيب . وعندما سمعت « برنبوك » ذلك جاءت غاضبة وقالت :
— هكذا اذن ! أول عابر سبيل يجعلك تلدين ككلبة . ألا تخجلين من نفسك .

— انه ليس ابني . ولكنه ليس كغيره من الاولاد . ولو كان لك مثله لما جئت تتكلمين بهذه اللهجة .

— اذا لم يكن ابنك ، لماذا هو في بيتك ؟ لماذا هو لصق صدرك ! .. صاحبت غاضبة :

— هذا الصبي جاء من بطن الحجر . والذي سقاه هو لبش وقد أسميناه سوسروقة نسبة الى الحجر الذي ولد منه .

كان سوسروقة عندما جالسا بجانب الموقد يلعب بالحجر . يمسكه بيديه ثم يلقيه في فمه ويلفظه وقد انطفا . وعندما رأت برنبوك ذلك قالت :

(٤) اله السماء

— هذا مولود رهيب • سيكون وبالا على النارتيين • ان في ولادته نهاية
للكثيرين • يا ليت له يولد وغادرت الدار غاضبة •

ومنذ ذلك الحين سميت ستناي ولدها سوسروقة •

حصان سوسروقة وسيفه •

أخذ سوسروقة ينمو بسرعة عجيبة • كان يكبر في يوم واحد بمقدار ما يكبر
غيره في شهر ، وكانت ستناي تربيته ؛ فراشه الحجر ولحافه السماء وغداؤه الصوان •
وعندما كان أترابه ما يزالون في المهد ، خرج ليلعب مع الصبيان في الشارع •
وصار أولاد النارتيين الذين غداؤهم العسل ونخاع الغزلان يخافون منه ، لأنه
إذا غضب كان الشرر يتطاير من جسمه كما يتطاير من حجر الصوان •

ومع الأيام سئم سوسروقة ألعاب الصبيان وبدأ يتردد على محل حدادة لبش ،
وينظر الى عمله باهتمام • وذات مرة طلب لبش أن ينقح له في الكير • ولما فعل
طار سقف المحل وتناثرت قطع الحديد •

ولما رأى لبش ذلك فرح وقال في نفسه « لا بد أن أعرف مدى قوة هذا
الصبي » فطلب منه الاقتراب من سندانه •

كان سندان لبش مغروزا الى عمق الأرض السابعة • وكان الرجل الذي
يستطيع تحريكه يقبل في مجلس النارتيين بعد أن يعطى لقب « رجل نارتي » •
أمسك سوسروقة السندان وحاول تحريكه ولكنه لم يقلح • حاول ثانية فلم يقلح •
وحاول للمرة الثالثة فلم يقلح أيضا •

وبعد ذلك قال لبش :

— لا ياسوسروقة ، مازلت فتيا ولم تكتمل قوتك بعد • اذهب الى ستناي
واجلس بجانب الموقد واقضم الصوان •

كان سوسروقة يعرف أن الشاب الذي يستطيع تحريك سندان لبش يعدونه

قد بلغ مرحلة الرجولة • لذلك عاد الى البيت وقد أحزنه أنه لم يقلع في ذلك •
وعندما لاحظت ستناي حزنه سألتها :
ماذا حدث لك ؟

ولكن سومرودة جلس بجانب الموقد دون أن يجيب بكلمة واحدة وأخذ يقضم
قطع الصوان والشرر يتطاير من بين أسنانه •

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي ذهب الى محل لبش قبل أن يأتي •
وامسك بالسندان وشده فحركه • يكفي لهذا اليوم - قال لنفسه - ونزل الى النهر
المتجمد ونام فوق الجليد ليبرد جسمه فذاب الجليد وجرى النهر •

وفي صباح اليوم الذي يليه ذهب ثانية الى محل لبش قبل أن يأتي وشده
السندان فخلعه ورماه أمام الباب وعاد الى البيت • ولما جاء لبش لم يستطع
الدخول الى محله فاستغرب ذلك • كان أقوى الناريتين يستطيع تحريك سندانه
فقط • فقال وهو ينظر الى السندان المخلوع :
- لقد ظهر على هذه الأرض رجل لم يظهر مثله من قبل • « بساتعة »
يا الهنا ! اعمله نصيراً للخير • والا سيهلك الكثيرون • وستكون بداية حياته
خاتمة لحياة الكثيرين •

وفي هذه الأثناء اقترب من باب محله أخوة نارتيون ثلاثة • سلموا عليه
ودعوا له بالبركة في عمله • وقال كبيرهم :

- نحن الثلاثة ولدنا في يوم واحد • أنا في الصباح والوسط ظهر والاصغر
مساء • كنا نحش الحشيش نحن الثلاثة عند سفح التلال ونحن نتنافس في عملنا •
كان أصغرنا يفلبنا • اذا أوقفناه أمامنا لا نلحق به • واذا أوقفناه ورامنا
يلحقنا ولا يترك لنا ما نحشه لسرعته ومهارته • وقد أغضبنا ذلك نحن الاخوين
الاكبرين -

- من العيب أن يفلب الصغير الكبار - قال لبش مازحاً •

- عند الظهر قلنا سنأكل شيئاً ما • وغرزننا مناجلنا في الأرض وذهبنا

الى الغيمة • وبينما كنا جالسين نأكل ، وقع منجل أخينا الاصفر • ثم رأينا المنجل يجري وحده وهو يقطع كل ما يصادفه في طريقه من حشيش وأشجار وحجارة •

— والآن — قال الاخ الاصفر — اتفقنا أن نصنع من هذا المنجل سيفاً •• ولكن من نصيب من سيكون هذا السيف ؟••

ودون أن يجيب لبش بشيء ، أخذ المنجل ونظر اليه فعرف فوراً أنه من صنع « دبتش » الذي علمه مهنة الحدادة • ولما تأكد أن الاخوة الثلاثة سيتنازعون على السيف الذي سيصنعه من المنجل قال :

— من أجل السيف الذي سأصنعه من هذا المنجل سوف تتنازعون • ونزاع النارتيين معناه القتال • والقتال بين النارتيين ضياع للنارتيين لذلك أنا أصر عليكم بما يلي :

هذا سنداني ترونه أمام باب محلي ولا أجد طريقاً للدخول • السيف لمن يستطيع أن يحمله ويمينه الى مكانه ، هل اتفقنا ؟•

— اتفقنا — أجاب الاخوة النارتيون الثلاثة بصوت واحد •

واقترب الاكبر من السندان وحاول رفعه ولكنه لم يستطع تحريكه • وعندما لم يستطع الاكبر تحريكه حاول الاوسط فحركه قليلاً • وعندما لم يستطع الاوسط حمله حاول الاصفر فرفعه قليلاً من فوق الارض •

— لا ، لا • أنتم لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً مع سنداني هذا • لذلك لن يكون السيف من نصيب أي واحد منكم — قال لبش •

— ماذا نفعل ؟•• كلامنا كلام رجال • لن يكون السيف من نصيب أي واحد منا — قال الاخوة النارتيون الثلاثة •

وفي هذه الاثناء كان سومروقة يراقبهم • وبعد أن فشل الاخوة النارتيون الثلاثة واحداً بعد الآخر اقترب منهم وأخذ يستعطف لبش :

— أرجوك ، دعني أجرب •

فنظر اليه الاكبر بطرف عينه وضحك وكأنه يقول « وماذا تستطيع أن تفعل به »

وقال الاوسط :

« تحاول ماذا ؟ ما زال حليب أمك يسيل من بين شفتيك ! »

« وماذا تجدي محاولتك أنت ! من الأفضل أن تذهب الى البيت وتحاول قضم رغيف الذرة »

ودون أن يجيبهم سوسروقة بشيء ، اقترب من السندان ، وأمسكه جيداً بين ذراعيه . كان الاخوة النارتيون الثلاثة يضحكون ويسخرون منه . ووسط ضحكاتهم رفع السندان وحمله الى المكان الذي كان مفروماً فيه وأعاد غرسه بأعقب مما كان مفروماً به من قبل .

واستغرب الاخوة النارتيون الثلاثة ما رأوا ، وأقسموا أنهم سيخبرون النارتيين بما رأوه . ويقول لبش وقد أرضاه موقف الاخوة النارتيين :

« حسناً . حسناً ! يا اخوة النارتيون الثلاثة ! أرجو لكم طول البقاء اخوة ثلاثة وسيفاً واحداً لا يغلب ، سوف أصنع لكم بمناسبة هذا الحدث العجيب الذي رأيناه اليوم ثلاثة سكاكين حادة ولكن من حديد آخر . ومن هذا المنجل الذي صنعه دبتش لـ « تحه غليج » (٥) نفسه ، سأعمل سيفاً وأعطيته لمن استحقه . أنا لا أستطيع أن أصنع كل يوم سوى سكين واحدة . ومن يصلني أولاً فهي له . وهكذا قدم للاخوة النارتيين الثلاثة ، خلال ثلاثة أيام ، ثلاثة سكاكين حادة . ولم يوفر جهداً في صنع سيف من منجل تحه غليج حتى أنهاء وعلقه على الحائط بانتظار تقديمه لمن هو أهل له . »

★ ★ ★

كان سوسروقة جالساً بجانب الموقد يلعب بالرماد من شدة الملل ، ولما وجدت أمه ستناي حزينا سألته :

— يا ولدي ! لماذا أنت حزين هكذا ؟

— إذا لم أحزن أنا فمن يحزن ؟ لا صديق لي ولا زائر . حتى كلبنا العجوز يجد ما يعمله فهو على الأقل ينبج عندما يدخل غريب الى الدار . أما أنا فاني جالس بجانب الموقد أمضي الوقت بتحريك الرماد . لا أعرف ماذا يعمل الناس ، ولا وسيلة لدي لأعمل شيئاً .

— يا ولدي ، يا ولدي الوحيد . أنت ما زلت صغيراً . ليس من المناسب أن يكون لك أصدقاء . وإذا أردت أصدقاء وزواراً فمن أين لك ؟! انني أنظر بين الناريتين فلا أرى واحداً يمكن أن يكون ندياً لك . فهم رجال كبار واهتماماتهم غير اهتماماتك وليس يهتم شباب في مثل سنك يمكن أن يكون نعم الصديق لك ولا يجلب لك العار إذا صادقته . يا أمي يا ستناي — قال سوسروقة — ليس الصديق الذي أقصده هو من تقصدين . أنا أريد صديقاً لا يتشلم عند الطعان، ولا يجبن في مواطن الضيق . ما أريده هو سيف وحصان .

وفرحت ستناي لهذا الكلام وذهبت الى محل لبش .

— لقد أخذ ولدي يضايقني . يقول انه يريد أن يرى العالم . ويطلب مني أن أوصي بصنع سيف له ، وأن أدبر له حصاناً . وأنا أعتقد أنه ما زال صغيراً لحمل السيف وركوب الخيل .

— لا أيتها السيدة ستناي . أنت مخطئة — قال لبش معترضاً — هذا أوان فتوته إذا كان صغير السن بمظهره فهو رجل بقلبه فليمارس رجولته ولا تعترضني سبيله .

أما من أجل السيف فدعني يأتي الي

عادت مستنای وقالت لسوسروقة :

— اذهب الى لبش فهو يناديك •

قفز سوسروقة من الفرج وجرى الى لبش • وما أن دخل محله حتى بادره

مازحاً :

— أي نوع من السيوف تريد ؟•••

— أنا أريد سيفاً لا هو بالطويل ولا هو بالقصير • يهايه العدو البعيد

ويجندل العدو القريب قاطعاً اذا ضربت ، مخترقاً اذا طلعت — أجايه سوسروقة •

— اذن فهذا السيف سيكون كما تريد — قال لبش • وتناول السيف الذي

كان قد صنعه من منجل تحه قليج وأعطاه لسوسروقة •

وسأله بعد أن أعطاه السيف

— وماذا تريد أيضاً ؟•

— لا أريد شيئاً آخر سوى حصان أطلق به — قال سوسروقة •

اذا أردت حصاناً فإذهب الى أمك — قال لبش — فعندها حصان جيد ،

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

اطلبه منها وستعطيك إياه •

عاد سوسروقة والسيف معلق الى جانبه ، ولما رآته مستنای قالت :

— أعرف يا ولدي ماذا ينقصك الان • اذا رأى لبش أنك تستحق سيفه

فمن الممكن أن تصير رجلاً يذكر اسمه بين الرجال تعال معي فقد رببت لك حصاناً •

وأخذت سوسروقة معها الى المغارة وقالت له :

— هنا يا ولدي • اذا استطعت أن تزيع هذه الصخرة • واذا استطعت أن

تدخل الكهف ستجد حصاناً • واذا استطعت أن تتركب هذا الحصان فسيكون لك

نعم الحصان •

أزاح سوسروقة الحجر من باب الكهف دون عنام ودخل فسهل الحصان

وأخذ يحفر الأرض بقائمتيه الخلفيتين • وأخذت الجبال تهتز لضربات قائمته

••• حاول سوسروقة أن يقترب من الحصان عن يساره فلم يفلح • وحاول أن

يقترب عن يمينه فلم يفلح • كان يقفز ويضرب بقائمتيه • وعندما رأت
ستنای ذلك حزنت •

– يا ولدي ، انه يفعل ذلك لانه لا يعتبرك رجلا – قالت ستناي – وعندما
سمع سوسروقة ذلك غضب ، وبقفزة واحدة أصبح فوق ظهر الحصان فطار من
تحت الارض •

– يا يوم نحسي ، سيقتل ابني الوحيد – قالت ستناي – • أما الحصان
فقد اختفى مخترقا الغيوم وسوسروقة على ظهره • وعادت ستناي وجلست في
البيت وقلبها يتقطع • ماذا كان بإمكانها أن تفعل • • وأخذ الحصان سوسروقة
الى ما بين الغيوم ونفضه عن ظهره • وعاد الى الأرض ووقف على خلفتيه محاولا
أن يرميه ولكنه لم يفلح • وأخذه الى الوديان التي لا تستطيع أسراب السنونو أن تصل
إليها ولكنه لم يستطع أن يرمي سوسروقة عن ظهره • وانطلق به من جديد حتى وصل
الى ملتقى بحار سبعة وقفز في الماء يسبح مخترقا البحار ذهاباً وإياباً ، لكن الحصان
لم يستطع أن يرمي سوسروقة عن ظهره • وبقي الحصان يجري سبعة أيام
بلياليها وسوسروقة على ظهره • مرث الأيام السبعة بلياليها وسوسروقة على ظهره
وتعب الحصان • وعندما وقف منهاكاً قال سوسروقة <http://www.archive.org>

– هيا يا من أكلت الكلاب • اذا كان وقت لعبك قد انتهى ، فان لعبي
يبدأ الآن • ولكن الحصان لم يحرك ساكناً • ضربه بكعبيه ولكنه لم يتحرك •
فغضب وضربه حتى حطم عليه سبعة عصي من السنديان • عند ذلك نطق
الحصان وقال :

– وربي (٦) « أمش » لن أعصي لك أمراً بعد اليوم • اذا كنت رجلا
فساكون لك نعم الحصان •

– اذن هيا انطلق نحو البيت • واتجه نحو البيت • وعندما رأت ستناي
سوسروقة الذي أوقف حصانه أمام الباب استقبلته مهللة :

— يا ولدي ، كنت جالسة أبكيك •
 — لا يا أمي ، لا تبكي علي • بل احضري لي زاداً قليلاً خفيفاً ،
 يكفيني • أريد أن أسافر ، أظن أنه قد حان موعد رؤيتي للعالم • — قال
 سوسروقة وهو يبتسم لأمه •

كأس الآلهة

على قمة « واشحة مأكوة » كان (٧) « مزتحه » ، « أمش » ، « تحه غليج »
 « سوزرس » (٨) ، « لبش » وغيرهم في زيارة لـ « بساتحه » لحضور الاحتفال السنوي
 الكبير الذي يرفعون فيه أنخاب خمر العنب • وكل عام كانوا يدعون إلى احتفالهم
 أشجع وأقوى وأشهر رجل على الأرض ويقدمون له كأساً باسم جميع الناس •
 وكان الناس يقدرون عالياً من يذهب ممثلاً عنهم إلى احتفال الآلهة ويشرب معهم
 نخباً • وعلى هذه العادة كانت قد مرت أعوام طويلة •

كان كبير القوم في احتفال الآلهة هو بساتحه نفسه فوق قائل :
 — إلى من سنقدم الكأس هذا العام باسم الناس • من هو أقوى رجل على
 الأرض ؟ من هو أبرز رجل ؟ •

— كبير الناريتين « نسرَن جاكاة » — قال سوزرش •
 — لا • « قانج بن شاي » هو أكبر صياد على وجه الأرض ، وهو الذي
 يستحق كأسنا قال مزتحه ،

— لا • « كوركونج » المعوز راعي الناريتين الذي لا يتعب ولا يمل هو
 الذي يستحق كأسنا — قال أمش •

— لا • « خمش » هو أحق بكأسنا • لا يوجد بين الناريتين من هو أبرع
 منه في الزراعة — قال تحه غليج •

٧ — إله الغابات •

٨ — إله العائلة •

– لا • قال لبش وهو يقف – ولد في أرض الناريتين رجل ينسيكم كل من ذكرتم • لقد استطاع أن يخلع سنداني الذي كان مدفونا إلى أعماق الأرض السابعة ، وأن يعيد غرزه إلى أعماق مما كان • انه ما زال شابا فتيا ، ومع ذلك فلم يولد في أرض الناريتين من هو أقوى منه •

– من •• ؟ من الذي تعنيه ؟•• – سأل الجميع •

– سوسروقة ، هذا هو اسمه ولا يوجد أحد أحق بكأسنا منه – قال لبش •

وهكذا أمر بساتحه أن يدعوا سوسروقة ويقدموا له كأس الآلهة وأرسلوا لبش فأخضره •

رفع بساتحه كأس الآلهة وقال لسوسروقة :

– هذه كأسنا نحن الآلهة • اننا نجتمع كل عام على قمة « أواشعة ماكوة » (٩) لنقيم احتفالنا السنوي • وفي كل احتفال نستدعي أبزر رجل على الأرض ونقدم له كأسا واحدة نهاية عن كل الفاس •• أنتم لا تملكون شرابا مثله على الأرض ، خذ واشرب – ونأوله الكأس • وعندما شرب سوسروقة الكأس أعجبته الخمر كثيرا وانتمش قلبه •

– والآن • انتهى ما استدعيناك من أجله • وبما أنك شربت كأسنا يمكنك

الانصراف – قال مزتحسه •

– اذهب وحدث الناس بطعم ما شربت من خمر الآلهة – أضاف تحه غليج •

كان سوسروقة واقفا منتمش القلب منتشيا بطعم خمر الآلهة •

– إذا كان ذلك ممكنا ، اسقوني كأسا أخرى – توسل سوسروقة •

– لا ، ليس من عادتنا أن نسقي البشر سوى كأس واحدة – لم يقبل

بساتحه • لكن لبش الذي يحب سوسروقة كثيرا قال :

– لا بأس • دعونا نقدم لك كأسا أخرى ، فهي ستساعده على وصف خمرة

الآلهة للناس بما يليق •

(٩) جبل البروز

— اسقوه كأسا أخرى — قال أمش أيضا •
 — اذا كنتم ترون ذلك ، أعطوه كأسا أخرى • ولكننا بذلك نحطم عاداتنا
 لهذه المناسبة — قال بساتحه •
 — العادات من صنعنا نحن — قال مزته وهو يقف ويمشي نحو دن الآلهة
 ومعه الكأس • وبينما كان مزته يعبىء الكأس بأبهة ، اقترب منه سوسروقة :
 — ما هذا الذي لا أرى له قراراً ، وله رائحة نفاذة •
 — هذا هو الدن الذي نحفظ فيه خمر الآلهة •
 — ما أعجبه ! — قال سوسروقة •

المعجب هو ما في قعره من بذور • وكيف تنبت هذه البذور ، ثم قدرتي
 التي تنبتها وجعلت لها هذا الطعم اللاذع المعجب — قال تته غليج •
 عندما سمع سوسروقة ذلك ، اقترب من الدن متظاهرا بأنه ينظر اليه
 وحمله بسرعة قائلا : « فلتصبح خمر الآلهة من نصيب البشر » ورماه من فوق
 قمة الجبل الى الارض • وما أن وصل الدن الآلهي الى الأرض حتى انفجر وسالت
 محتوياته في بلاد الناريتين • وما أن لامست بذور العنب الأرض حتى نبتت
 الكروم • وعندما رأى الناريتون العنب أخذوه الى السيدة ستناي • كان سوسروقة
 حاضرا فقال : « هذا من خمر الآلهة » • وضعت ستناي العنب في برميل خشبي
 وغطت البرميل بعجر كبير • وبعد أن مر عام طار الحجر من فوق البرميل • شرب
 الناريتون من الخمر الذي في البرميل فانتشلت قلوبهم • ومنذ ذلك الوقت
 عرفوا كيف يصنعون الخمر • وبدأوا بهذه المناسبة احتفالا سنويا يشربون فيه
 خمر العنب •

سوسروقة ويمنيج (١٠)

لم يتخلف أحد من الناريتين عن حضور الاجتماع عند « حرمة أواشعة »
 وكان تته غليج واقفاً في أعلى التلة يخاطب الناريتين :

(١٠) اسم موقع جبل في القوقاز •

— أيها النارتيون • لقد تقدم بي العمر .. لقد عملت طوال حياتي لأوفر لكم مواسم جيدة من الحبوب • والان أترك لكم كمية من بذار الذرة البيضاء ، اذا بذرتهم منها لن تروا موسماً سيئاً •

— يا الهنا تحه غليج • يا من يقدم لنا مواسم الخير دون حساب ، سنذكر اسمك الغالي كلما رأينا نبتة على الأرض — هلل له جميع النارتيين بصوت واحد •

— حبة ذرة واحدة مما استنبته ، ستملأ لكم حلة كاملة — قال تحه غليج — ووضع حبة ذرة في كل حلة من حلل النارتيين • وعلق النارتيون حللهم فوق النيران وعلقوا حبوب الذرة التي وهبها لهم تحه غليج • وكل حبة ملأت حلة فتعجبوا من ذلك كثيراً • وعندما رفعوا كؤوسهم نخب تحه غليج وقف بينهم وقال :

— والان أيها النارتيون ، حافظوا على بذار الذرة الذي أعطيتكم آياه كما تحافظون على حيوانات أمش • كل عام ابذروا البذار القديم ، وخذوا البذار الجديد من أول دفعة تحصدونها ثم قدم لهم كيس البذار •

لم يجرؤ النارتيون على حفظ البذار في بيت أي واحد منهم فصنعوا صومعة من النحاس وضعوا فيها البذار • واتخذوا قراراً بحراصة الصومعة ليل نهار • وعلى هذا القرار انفض الاجتماع •

عندما كان تحه غليج يخاطب النارتيين ، كان « يمنيح » يراقبه متشدداً على ظهر جبل بعيد عن مكان الاجتماع • كما كان يراقب ما يفعله النارتيون ويستمع الى ما يقولونه • لأنه مهتم ببذار تحه غليج منذ زمن طويل ولكنه كان يخشى مواجهته ويتحين الفرص للاستيلاء على البذار • وعندما وضع النارتيون كيس البذار في الصومعة النحاسية فرح يمنيح وقال :

— الآن سنحت الفرصة • البذار الذي كنت أتمناه طوال حياتي ، أصبح الآن قريب المنال لم يتحرك يمنيح من مكانه مدة ثلاثة أسابيع حتى اطمأن تحه غليج وانصرف ، واطمأن النارتيون أيضاً الى أن بذارهم في حرز حريز • وبعد الأسابيع الثلاثة ، زحف يمنيح من مكانه الى الصومعة النحاسية ، وضربها بذيله

فخسطرها نصفين ، ومن شدة الضربة أضاء الليل المظلم مثل ضوء البرق ، كان ذلك هو الشرر المنبعث من الضربة .. وقبع الحارس النارتي أرضاً وهو يتلوى ألماً من تأثير الضربة . وخطف يمنيح كيس البذار وولى الأدبار .. وفي الصباح بعد أن استيقظ النارتيون تساءلوا :

— ان صوت الرعد هذه الليلة لم يكن كأصوات الرعد التي عرفناها من قبل . لقد اهتزت بيوتنا ، وفتحت أجفاننا التي كنا أغمضناها . وفي هذه الأثناء ، عندما نظر النارتيون ناحية صومعتهم لم يروها . اليس هذا مدعاة للمعجب والدهشة !

ولما لم يجدوا ما يفعلونه ، أمرعوا الى تحه غليج .

— إلهنا وحبيبنا تحه غليج . كنا وضعنا بذار الذرة الذي منحتنا إياه في صومعة نحاسية . وهذه الليلة حطم أحدهم الصومعة وخطف البذار — قال النارتيون .

— اذا كانوا قد خطفوه فاستميدوه . هكذا أجابهم تحه غليج الغاضب .

— لو عرفنا فقط من اختطفه ، لعرفنا كيف ندير أمرنا معه .

— وكيف أعرف أنا من أخذه .

— اذا كنت أنت لا تعرف ، فمن يعرف إذن !

— اسألوا سيدتكم ستناي — قال تحه غليج .

وماذا كان بإمكان النارتيين أن يفعلوا ! ذهبوا الى السيدة ستناي .

— يا سيدة النارتيين ، يا أغلى السيدات ! لقد لحقت بنا اهانة ليلة البارحة .

أخذ أحدهم البذار الذي كان أملنا جميعاً ، ولا نعرف من أخذه — قال النارتيون شاكين .

— ألم يقل لكم تحه غليج من أخذه ؟

— لا ، لم يقل لنا .

— قال النارتيون .

— لم يقل لكم لأنه كان غاضباً .. كان يمنيح يحاول الحصول عليه منذ زمن

بعيد . وكم مرة تصارع مع تحه غليج من أجله ولكنه لم يستطع التغلب عليه .

وعندما طعن في السن خاف أن يغلبه يمينيخ وأعطاكم بذار الذرة العجيب الذي استنبتته • لا • لا • لا • لقد جلبتم العار لاسم النارتيين - قالت ستناي :

- والآن ما العمل ! هل نبقى هذا - العار لاصقاً بنا - سأل النارتيون •
- هذا يعود الى مقدار حرصكم على شرفكم - قالت ستناي •
- ما دمنا أحياء فلن نسمح ليمينيخ أن يأكل من بذارنا - قال النارتيون بصوت واحد •

- اذا كان الأمر كذلك ، وما أسمعه كلام رجال ، فسأعمل على مساعدتكم ، وأدلكم أين يعيش يمينيخ هذا • تقطعون سبعة جبال وتتابعون سيركم الى حيث تصل الشمس الى كبد السماء •

- لا • لا • لا • هذا بعيد جداً - قال النارتيون •
- هذا ليس الا قفزة فارس نارتي واحد - قالت ستناي •
- تتحركون من هنالك وتقطعون سبعائة نهج الى حيث تقف الشمس عند قبة السماء •

- لا • لا • لا • ما أبعد هذا المكان ! - قال النارتيون قلقين •
- هذا ليس سوى قفرتي فارس نارتي شجاع • تنطلقون من هنالك وتقطعون ثلاثة بحار صغيرة وسبعة بحار كبيرة حتى تصلوا الى حيث تقف الشمس على الجانب الآخر من السماء •

- لا • لا • لا • هذا في غاية البعد - قال « شبتن » وهو في غاية القلق •
- هذا ليس سوى ثلاثة قفزات لفارس نارتي شجاع • تتابعون سيركم بعدها حتى تصلوا الى مغرب الشمس تماماً حيث تنتصب قلعة يمينيخ التي يعيش فيها •
- لا • لا • لا • هذا بعيد جداً ولن نستطيع الوصول اليه طوال حياتنا - قال جلافتسن •

- هذا يعتمد على طريقة انطلاقكم وعلى طريقة سيركم - قالت ستناي - اذا كنتم ستسمحون ليمينيخ أن يستولي على بذاركم فلماذا قبلتموه من تحه غليج • لا • لا • لا •

ولم يكن أمام النارتيين خيار • لقد خافوا أن يُغضبوا تحه غليج فعمدوا اجتماعاً ليلبثوا الموضوع ويتخذوا قراراً بشأنه • وفي الاجتماع كان القرار : « استعادة البذار » • وفي ذلك الوقت كان « أرقشو » أشجع فرسان النارتيين فأرسلوه لهذه المهمة • لكنه غاب وغاب • وعندما لم يعد أرسلوا عشرة فرسان نارتيين • وعندما لم يرجعوا أرسلوا مائة فارس ، ولكن المائة فارس لم يعودوا أيضاً • • وكان النارتيون في غم وحزن من أجل ذلك عندما عاد سوسروقة من سفره الطويل • ولما وجد بلاد النارتيين وقد عمها الحزن سأل عن السبب فقالوا له : « الموضوع كذا وكذا • • » وأخبروه بقصة البذار الذي منحهم إياه تحه غليج وكيف سرقه منهم يمينج ، وكيف أن كل من يرسلونه لاستعادة البذار لا يعود •

— وأين يعيش يمينج هذا ؟ — سأل سوسروقة •

— أسأل أمك ستناي فهي تعرف جيداً — قال النارتيون •

عاد سوسروقة الى أمه ستناي وسألها :

— أين يعيش يمينج هذا الذي جلب الحزن لبلاد النارتيين ؟ •

— وماذا تريد أنت من ذلك ؟ •

— سأذهب لاستعيد بذار النارتيين •

— اذا كان الأمر كذلك ، فما أسمعك كلام رجل ، وسأساعدك ، سأدلك على مكان

يمنج • ستقطع سبعة جبال وتتابع سيرك الى حيث تصل الشمس الى

كبد السماء ، وتنطلق بعد ذلك وهيئات أن تصل •

— ليس هذا سوى قفزة واحدة من حصاني يا أمنا قال سوسروقة •

— تنطلق من هناك وتغلف وراءك سبعمئة نهر وتصل الى حيث الشمس عند قبة

السماء • ثم تنطلق من هنالك وهيئات أن تصل فالمكان ما زال بعيداً •

— هذا ليس سوى قفزتين من حصاني يا أمنا •

— واذا تابعت بعد ذلك وقطعت ثلاثة بحار صغيرة ، وسبعة بحار كبيرة حتى تصل

الى طرف السماء حيث تنحدر الشمس ثم تتابع سيرك وهيئات أن تصل • • •

— هذا ليس سوى ثلاثة قفزات من حصاني يا أمنا •
— اذن يا ولدي — قالت ستناي فرحة — فان قلعة يمنيح تنتصب عند مغرب الشمس
تماما •

— لماذا جعل منزله عند مغرب الشمس ؟ — سأل سوسروقة •
— يمنيح هذا نهم يحاول أن يبتلع كل ما يجده في طريقه وهو معجب بالشمس منذ
زمن بعيد • فهي تصبح قريبة من الأرض عند مغيبها وتبدأ العتمة تعم الأرض •
لذلك جعل منزله عند مغرب الشمس حتى يسحبها في هذه اللحظة في غفلة عن
الناس ويبتلعها •

ووضع سوسروقة على حصانه سرجا ، وتمتلق بكامل أسلحته وانطلق ...
وانطلق .. أخذ يمشي خبيبا ويجري ويقفز • حتى قطع الجبال السبعة ووصل
الى حيث الشمس تقف عند كبد السماء • فشد رباط حصانه وشد أحزمته ودون
أن يتوقف تابع سيره • وأخذ يمشي خبيبا ويجري ويقفز ، يمشي خبيبا ويجري
ويقفز حتى خلف وراءه الأنهن السبعمئة ووصل الى حيث تقف الشمس عند قمة
السماء • فشد رباط حصانه وشد أحزمته مرة أخرى وتابع سيره دون أن يتوقف •
وأخذ يمشي خبيبا ويجري ويقفز حتى قطع البحار الثلاثة الصغيرة والبحار
السبعة الكبيرة وعندها قال لحصانه :

— احم .. يا حصاني العجوز .. ! لقد وصلنا الآن الى حدود أرض يمنيح فلا
توفر جهدا وامش مرفوع الرأس •

— وربى أمش الذي لا أكذب عليه ، واذا كذبت عليه فليقصم ظهري ، أعدك بأن
لا أوفر شيئا من ملاقتي — قال حصان سوسروقة •

فشد سوسروقة رباطه وشد أحزمته وانطلق • ولم يمض طويلا حتى دخل
أرض يمنيح • وكان يمنيح قد بنى برجاً للمراقبة على مرتفع من الأرض ، وعلى
البرج كانت تقف فتاة ناروتية سرقها من أرض الناريتين تراقب القادمين وتخبر

عنهم يمنيح • ولما رأت الفتاة النارتية الفارس القادم صاحت تخبر يمنيح النائم تحت البرج :

- أرى فارسا قادما وحده •
- وكيف يمشي ؟ — سأل يمنيح •
- ان مشيته لا تشبه مشية الفرسان النارتيين الذين قضيت عليهم •
- لا • ! وكيف يأتي من أرض النارتيين فارس لا يشبه النارتيين الآخرين ! على أية طريق يسير •
- انه لا يسير على طريق • انه فارس لا يبحث عن طريق وانما يخترق المسافات الينا على أرض لم تملأ قدم حصان من قبل — قالت الفتاة •
- لا • ! هل يأتي عبر المناطق الظليلة ، أم عبر المناطق التي تحرقها الشمس ؟ •
- انه لا يبحث عن الظلال • انه يأتي عبر أشعة الشمس المحرقة •
- هل يأكل من التفاح الحلو والسفرجل الناضج ؟ •
- لا ، انه يأكل من التفاح الحامض والسفرجل المر •
- وهل يشرب من مياه الينابيع العذبة ؟ •
- لا ، انه يترك الينابيع العذبة ويشرب قليلا من المياه الراكدة •
- ليكن القادم من يكون فلن يستطيع تجاوز بوابة السيوف التي ستقطع رأسه •
- وسأعلق رأسه فوق البوابة مع رؤوس الآخرين الذين سبقوه لاستعادة بذار تحه غليج • وليس لدي وقت أضيعه هنا في انتظاره فعلي أن أزرع بذار تحه غليج اليوم • عندما تقطع بوابة السيوف رأسه ، اذهبي وعلقيه مع رؤوس الآخرين— قال يمنيح وانطلق الى الحقل •

كان سوسروقة ماضيا في طريقه لا يلوي على شيء • وأعجبت الفتاة النارتية بمشيته • يا الهي • ! لم أر مثل هذا الفارس قبل اليوم • كم هو محزن أن ترك فارسا مثل هذا تقتله بوابة يمنيح — قالت الفتاة النارتية لنفسها •

لم يكن أحد في الدنيا قادراً أن يعبر بوابة يمينج بسلام . ولم تكن الفتاة تملك شيئاً لمساعدة سوسروقة على عبور هذه البوابة .

وصل سوسروقة الى بوابة السيوف . كانت القلعة محاطة بسبعة أسوار وليس لها مدخل أو مخرج سوى هذه البوابة . وكان سيفان كبيران يتدليان من أعلى البوابة . وما أن يدخل أحد بينهما حتى ينطبقا ويقطعاه فوراً الى قسمين . حتى العصفير لم تكن تستطيع أن تجتاز البوابة دون أن ينطبق عليها السيفان . هكذا كانت بوابة السيوف .

نظر سوسروقة الى البوابة طويلاً مستغرباً . وعندما اقترب منها بدأ السيفان يتأرجحان . فترجل ونزع شجرة من ذيل حصانه ورماها بين السيفين ، وفي غمضة عين قطع السيفان الشجرة .

هذه بوابة عجيبة لم أر مثلاً لها في حياتي - قال سوسروقة مستغرباً - الهي انصر سيفي الذي صنعتته لي من منجل تحه غليج على فتيق السيوفين - تضرع سوسروقة - واستل سيفه وركب حصانه وهجم على بوابة يمينج وضرب السيوفين فلم يبق منهما على الباب سوى المقبضين . وهكذا أصبح الطريق مفتوحاً فدخل دار يمينج . ولما رأت الفتاة ما فعل الفارس خرجت لاستقباله فرحة مرحبة به :

- أيها الفارس النارتى الشجاع ، مجيئك يوم فرحي ولكنك وان تخلصت من بوابة يمينج فلن تستطيع أن تفلت من بين يديه . عد من حيث أتيت ولا تجعل من يوم قدومك ماتماً - قالت الفتاة النارتية راجية .

- لا أيتها الجميلة . ليس من عادتي أن أمشي في طريق لأعود منها دون أن أحقق غايتي . يمينج هذا سرق من أرض النارتيين البذار الذي كان تحه غليج قد منحه إياهم . ألم تري هذا البذار .

- لقد رأيته . ان يمينج يفلح الأرض ليزرع هذا البذار الآن وقد أخذه معه الى الحقل .

- وأين يفلح ؟ — سأل سروة .
- اتري ذلك الجبل ؟ — أشارت الفتاة النارتية الى جبل عال نحو الشمال .
- أراه .
- انه يفلح قمة ذلك الجبل . ولا يوجد نارتي استطاع أن يتسلق هذه القمة . انه ينوي أن يزرع البذار هنالك حتى لا تصل اليه أيدي النارتيين أبدا .
- فلترض عنك الآلهة أيها الجميلة — قال سروة للفتاة وانطلق نحو الجبل الذي يحرق يميني قمته . وأخذ يمشي ويقفز حتى وصل الى الجبل . كان الجبل يشمخ عاليا وما من طريق يصعد اليه . ساعد سروة حصانه وحماءه جيشة وذهابا ثم قفز وصعد الجبل فرأى يميني يفلح والبذار الذي منحه تحهغليج للنارتيين معلقا على جذع شجرة .
- ها . . الآن بدأ هدفي يتحقق — قال سروة لنفسه . وبقفزة واحدة خطف كيس البذار وولى الأديار . وعندما رآه يميني ضحك ضحكة عالية :
- انظر الى هذا الصغير (وما يفلح) انه يفلح الى أين تقلت مني وتذهب ؟
- ودون أن يضيف شيئا عاد الى بيته وأكل جيدا ثم استراح قليلا وركب حصانه ذا الأرجل الثلاثة السوداء ولحق بسروة عند شاطئ البحر الكبير ودفعه فאלقاه أرضاً وحمل كيس البذار دون أن يترجل وقال لسروة :
- ليس مثلك من يستطيع استعادة هذا البذار .
- ورجع يميني ومعه كيس البذار وسار سروة في إثره دون أن يراه . أعاد يميني كيس البذار الى جذع الشجرة وعاد الى فلاحته .
- « يتبع »

